الكاريكاتير السياسي في الصحافة الجزائرية
واهتزاز هيبة الدولة
جريدة الخبر نموذجا

أ. رشيد خضير
المركز الجامعي بالوادي

يعد الكاريكاتور من الألوان الصحفية المميزة والممتعة، حيث يمتاز بقدرة فائقة في تقديم وتلخيص الأفكار والمواضيع التي قد لا تستطيع الفنون الصحفية الأخرى التعبير عنها بالشكل الذي يجسده الكاريكاتير بحيث يسلط الأضواء على آراء وأفكار عديدة موضحة في رسم واحد، وهو الأمر الذي يجعله أكثر قدرة على النفاذ والتأثير في القارئ أيا كانت جنسيته أو لغته ، لذا

فان قراء الصحف ينطلقون بلهفة إلى موقع الكاريكاتير، ليطالعوه ويطفئوا شغفهم بلغة بسيطة مفعمة بالمعاني وبطريقة مشوقة وممتعة.

ولعله من المفيد التذكير بما أحدثته الرسوم الكاريكاتيرية التي نشرتها صحيفة Court Westergard في 30 /09/ 2005 المسيئة للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ،حيث أثارت غضب المسلمين في كافة أرجاء العالم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وعلى الصعيدين الشعبي والرسمي مما يبرهن على قدرة الرسوم الكاريكاتورية على التأثير في الرأي العام سواء كان الموضوع سياسيا أو اجتماعيا أو دينيا.....

وقد ساهم اقتران الكاريكاتير بالصحافة على ازدهار هذا الفن ونجاحه فكانت ولادة الكاريكاتير السياسي مأتما في مؤسسات السلطة ومناسبة بهيجة في بلاط صاحبة الجلالة السلطة الرابعة، وبمرور العقود استحكم العداء بين السلطتين فالصحافة تبرر ممارساتها بحرية التعبير والصحافة و ترفض الضغوط التي يسلطها الساسة الذين بدورهم يتعذرون بحماية الحريات الخاصة والحياة الشخصية وصورة الدولة من التجاوزات الصحفية.

أولا : تعريف الكاريكاتير

لقد تعددت الآراء والتعريفات لفن الكاريكاتير،فمنهم من يعتبر أن مصدر الكلمة يرجع إلى لفظ cariecate التي لها أربعة معاني هي يملأ، يعي،يشحن، يبالغ، في حين يرى آخرون أن كاريكاتير مصدرها caracter التي تتعدد معانيه بين صفة ،رقم ،نوع وحرف.[1].

[1] شوقية هجرس ،فن الكاريكاتير،ط1،القاهرة:الدار المصرية اللبنانية،2005،ص 30

ويذهب البعض إلى اعتبار أن كلمة كاريكاتير مأخوذة من اسم عائلة كارتشي الايطالية التي يرجع لها ابتكار الكاريكاتير بمعناه المحدد وخاصة إلى الفنان أنيبال كارتشي Annibale Carracci (1560-1609).[1]

والكاريكاتير هو فن يقوم على إبراز وتشويه الخصائص الملامحية أو كوميديا الموقف أو اللفظ، كما أن الكاريكاتير هو عبارة عن نظرة داخلية في نفس الفنان أو المؤلف لينظر إلى الأشياء معبرا عن وجه نظره فيها[2]؛ من خلال التجسيد المصور لملامح الوجه مع التضخيم والمبالغة،حيث يؤدي التحريف في الصورة إلى إشباع خاص لدى المتلقي فيما يخص ما هو فريد ومميز وجديد ومضحك فيها.

ثانيا: أنواع الكاريكاتير

يمكن تقسيم الكاريكاتير إلى ثلاثة أنواع رئيسية وهي[3]:

1-كاريكاتير البورتريه (الشخصية)

وهو الكاريكاتير الذي يكون موضوعه شخصا بذاته حيث يصور وجه شخصية معينة بشكل وجي أو بشكل هجائي يحتوي على بعض المبالغات أو الإضافات للوجه.

---

[1] شاكر عبد الحميد ،الفكاهة والضحك،ط1،سلسلة عالم المعرفة،عدد 289،الكويت:المجلس للثقافة والفنون والآداب،يناير 2003،ص 370

[2] سعيد غريب النجار ، مدخل للاخراج الصحفي، ط1،القاهرة:الدار المصرية اللبنانية،2001 ، ص 208

[3] شوقية هجرس ، مرجع سابق،ص 30

2- الكاريكاتير الاجتماعي

وهو النوع الذي يعالج القضايا الاجتماعية والاقتصادية يمثل قضايا الطلاق والزواج،ومشكلات السكن والقضايا الاجتماعية المرتبطة بالعادات والتقاليد.

3- الكاريكاتير السياسي

وهو الكاريكاتير الذي يعالج موضوعا سياسيا مثل عمل الحكومة ،البرلمان والعلاقات الدولية وذلك بطرقة ساخرة وناقدة عن طريق إظهار العيوب والمبالغة في تصوير الملامح[1].

ثالثا: أهمية الكاريكاتير السياسي في الصحافة والسياسة

يعد الكاريكاتير الشكل الصحفي الأكثر جذبا للقراء من بين فنون التحرير الصحفي بغض النظر عن لغتهم وثقافتهم ،حيث أصبح الكاريكاتير جزء حيويا وهاما ولا غنى عنه نظرا لأهمية هذا الفن في اختزاله الرسالة المراد إيصالها للجمهور وسرعة وصولها إلى شريحة عريضة من المجتمع، واستخدام الصحف لهذا النوع من الرسومات يساعد كثيرا في زيادة توزيعها ومضاعفة شريحة قرائها، فقد لمعت في سماء الصحافة سيما السياسية منها أسماء كبيرة من الكاريكاتوريين مثل صاروخان ورخا بمصر ،و حاليا في الجزائر مثل ديلام وأيوب.

والكاريكاتير السياسي مادة خطرة، فهو عبث هازل وهازئ في موقف جاد، يصور الساسة في مواقف ومشاهد لا تخطر على البال، وتحميلهم أقوالا

---

[1] ممدوح حمادة،فن الكاريكاتير في الصحافة الدورية،ط1،دمشق:دار عشتروت،2000،ص 06

وتعليقات لا يمكن أن تصدر عنهم و هم في كامل قواهم العقلية، فجعلهم مادة دسمة للتهكم والسخرية والضحك[1].

إن قوة الكاريكاتير السياسي وتأثيره قد تصل إلى تحطيم شعبية الساسة وهز ثقة الرأي العام فيهم، لذا نشب عداء مستحكم بين أهل الصحافة وأهل السياسية؛طبقة حاكمة أو معارضة، فالصحفيون يؤكدون أن الكاريكاتير في الصحافة يسمو على السخرية والإضحاك،فلو كان هدفه كذلك فقط لما قبل كبار الزعماء والملوك والساسة أن يصبحوا مادة لهذا الفن؛ تظهر صورهم الكاريكاتورية يوميا على صفحات الصحف والمجلات، ويتندر الناس بمفارقاتهم التي يبرزها الرسم ولا يغضبون ولا يتذمرون ويتقبلون ذلك بصدر رحب،لأن الرسم الكاريكاتير هو عنوان حرية التعبير والصحافة، وهذه القاعدة قد لا تنسحب على كل السياسيين وفي كل الدول ،حيث أن السياسي يحب أن يظهر أمام الناس جادا ووقورا ومصقولا. وهو ما لا يتحقق مع «تشويه» الكاريكاتير السياسي، فيبدون ضيقهم وشكواهم ويلجئون إلى القضاء تارة ويسعون لتكسير ريشة الرسام أو لتطويعه في خدمتها تارة أخرى.

فالكاريكاتير السياسي فن صحفي فوق العادة يمارسه الرسام تحت مظلة حصانة صحفية ومهنية، ويطرح القضايا بشكل وأسلوب لا تستطيع الألوان الصحفية أن تنافسه فيها، فلا يمكن تصور كاريكاتير بدون سخرية وتهكم ومبالغة وتحريف، والتجاوز في الكاريكاتير يكمن في ذاتيته وخصائصه التي تتمثل في الآتي:

---

[1] غسان الامام ،فن الكاريكاتير،ط1،القاهرة:الدار المصرية اللبنانية،2005،ص 30

1- الفكاهة والسخرية

من أهداف الكاريكاتير الأساسية أن يجعل المتلقين يبتسمون ويفكرون أيضا من خلال تأملهم لهذا التجسيد النقدي الساخر لبعض الشخصيات التي يعرفونها وكذلك المواقف والأحداث التي يدركونها.

والسخرية تؤدي دورين هامين لصالح الساخر ،أحدهما تقوية الروح المعنوية من حيث أنها تنبع من الشعور بالتفوق والانتصار وتعيد الثقة إلى النفوس، والآخر هو أن السخرية تضعف الروح المعنوية في الذين توجه إليهم،وذلك لأن السخرية تعمد إلى قوة التصوير وإبراز نقائص المتهكم بهم وعيوبهم وتجسيم هذه العيوب بصورة واضحة[1]، ونظرا لما يمثله الكاريكاتير من قدرة فائقة في توجيه النقد اللاذع ولا يتأتى ذلك لو تم استخدم الكلمات في توجيه النقد ذاته ، تستعيض الصحف الحزبية والمستقلة عن الافتتاحيات والمقالات الناقدة والمعارضة للسلطة بالرسم الكاريكاتيري الذي يراه القراء ويفهمون مضمونه ومقصوده، ،ويكون الرسام والصحيفة في كثير من الأحيان في مأمن من السلطة والمتابعة القضائية[2].

2- المبالغة وكشف العيوب

إن الكاريكاتير هو المبالغة في التعبير من خلال الصورة عن الخصائص المميزة للشخصية ،فهو له قدرة فريدة على كشف عيوب الشخصيات مجسدا

---

[1] محمود فريد عزت ،دراسات في فن التحرير الصحفي،جدة:دار الشروق،2008،ص 296 .

[2] عبد اللطيف حمزة ،مدخل للتحرير الصحفي،ط1،القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب،2002،ص 288

بذلك دور الصحافة كرقيب على عمل الحكومة وعلى المشروعات العامة والخاصة ، والكشف عن الانحرافات ، ويشكل ذلك صورة ووعيا مسبقا لدى القارئ عن شخص معين أو قضية ما، بحيث تكون تلك الصورة جاهزة للاستدعاء عند الحاجة لتبرير أي عمل ،فالقارئ قد لا يجد الوقت الكافي لقراءة كل الصحيفة فيلجأ للعناوين والكاريكاتير[1].

3- التبسيط

إن الكاريكاتير السياسي هو السهل الممتنع ،سهل لأنه يصل إلى الناس بيسر وبلا تعقيد ،وممتنع لأنه يتطلب درجة عالية من الثقافة والوعي السياسي ،وعلى اعتبار الكاريكاتير صورة فلا يخفى علينا ما للصورة من قدرة على محو الأمية البصرية .

إن الثقافة البصرية كسرت الحاجز الثقافي والتمييز الطبقي بين الفئات، وتوسعت دوائر الاستقبال لتشمل الجميع ،لأن استقبال الصورة لا يحتاج إلى إجادة القراءة وهو في الغالب لا يحتاج إلى الكلمات أصلا، وهنا تدخل فئات لم تكن محسوبة على قوائم الاستقبال الثقافي للكاريكاتير السياسي لها حرية التأويل ،إذ بإمكان المرء أن يشاهد أي صورة دون حاجة إلى لغة ولا يحتاج إلى سياقات ثقافية ولا فكرية كي يفهم الصور ة،وهذا ما يؤدي إلى اختفاء النخبة وفقدانها لدورها في القيادة والوصاية[2].

---

[1] علي منعم القاضاة ،سياسة أمريكا تجاه العراق في الكاريكاتير الأردني،مجلة دراسات،مجلد 36 ،عمان،2009،ص 150

[2] عبد الله الغذامي ،الثقافة التلفزيونية،سقوط النخبة وبروز الشعبي،ط1،الدر البيضاء:المركز الثقافي العربي،2004،ص 10

رابعا: تحليل كاريكاتير جريدة الخبر خلال الانتخابات الرئاسية 2009

تعتبر الانتخابات الرئاسية أكبر حدث سياسي لأي جمهورية في العالم ،لأنه من خلالها يتم اختيار رأس النظام السياسي وعلى أساسه تتحدد ملامح التوجهات الأساسية للدولة في المرحلة التي تلي الانتخابات، وتتعاظم أهمية هذا الحدث إذا كان نوع النظام السياسي نظاما رئاسيا يتم فيه الاقتراع بطريقة مباشرة وسرية مثلما هو الحال بالنسبة للجزائر التي شهدت أفريل الماضي انتخابات رئاسية تنافس فيه عدد من المترشحين الذين هم مشاريع لرئيس جمهورية في حال فوزهم.

وقد تابعت الصحافة الجزائرية الحدث من خلال الأخبار والمقالات والحوارات... ، وكان الكاريكاتير السياسي حاضرا بقوة ، ومن بين الذين كتبوا عن الحدث بريشة الرسم في جريدة الخبر الرسام الكاريكاتيري أيوب.

إن الفترة التي يغطيها تحليل مضمون الرسوم الكاريكاتيرية لأيوب تمتد من يوم استدعاء الهيئة الناخبة يوم 2009/02/07 إلى غاية يوم الاقتراع 2009/04/09 ، وهي فترة هامة يتم فيها تقييم الماضي وتوجيه سلوك الناخبين في المستقبل.

وقد تم اختيار فئة الموضوع لمعرفة اهتمام الرسوم الكاريكاتيرية وفئة الاتجاه لتحديد اتجاهها نحو المواضيع المطروحة وكذا فئة الشخصيات التي تناولها الكاريكاتير، كما يرصد التحليل فئة التعليق والألوان لما لهما من قيمة في تحديد الدلالة وزيادة التأثير.

1 – فئة الموضوع

جدول رقم 01

المواضيع	التكرار	النسبة %
نزاهة الانتخابات	16	19.75
الواقع الاجتماعي والاقتصادي	20	24.69
المشاركة في الانتخابات	12	14.81
التغيير من خلال الانتخابات	10	12.35
الفساد	15	18.52
البرامج الانتخابية	08	9.88
المجموع	81	100

يوضح الجدول رقم 01 طبيعة المواضيع التي تناولها الرسام أيوب في جريدة الخبر خلال فترة الانتخابات، وقد شكل الواقع الاجتماعي والاقتصادي أولوية اهتمامات الرسام وذلك بنسبة 24.69%،ليليه بنسبة متقاربة موضوع نزاهة الانتخابات بنسبة 19.75% ثم موضع الفساد بنسبة 18.52 % ، ليأتي في المرتبة ما قبل الأخيرة موضوع التغيير من خلال الانتخابات بنسبة 12.35 %.

إن اختيار هذه المواضيع يدل على وعي سياسي كبير يتمتع به الرسام أيوب فطرح موضوع الواقع الاجتماعي والاقتصادي وموضوع الفساد في هذه

المرحلة من عمر الانتخابات أمر هام جدا فهو يضع من جهة المسؤولين والسلطة السياسية القائمة أمام كشف حساب في توقيت حرج لا ترغب في فتح ملفه ،كما أن إثارة موضوع نزاهة الانتخابات والمشاركة فيها والمأمول منها مستقبلا يولد نوعا من الريبة والشكوك والتردد لدى الناخبين، وتزداد قوة وتأثير هذه المواضيع لما تحمل قيما سواء كانت سلبية أو ايجابية.

2- فئة الاتجاه

جدول رقم 02

الاتجاه	محايد		سلبي		ايجابي		المجموع	
المواضيع	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة%	التكرار	النسبة%
نزاهة الانتخابات	01	06.65	15	93.75	0	0	16	100
الواقع الاجتماعي والاقتصادي	02	10	18	90	0	0	20	100
المشاركة في الانتخابات	01	08.33	10	83.33	01	08.33	12	100
التغيير من خلال الانتخابات	01	10	09	90	00	00	10	100
الفساد	01	06.67	14	93.33	00	00	15	100
البرامج الانتخابية	01	12.5	07	87.5	00	00	08	100
المجموع	07	08.64	73	90.12	01	01.24	81	100

يبين الجدول رقم 02 الاتجاه إزاء المواضيع التي تطرحها الرسوم الكاريكاتيرية، فجاءت نسبة الاتجاه السلبي كبيرة جدا حيث بلغت 90.12% ، وتراوحت النسبة بين 83.33% في الاتجاه نحو المشاركة في الانتخابات كحد أدنى و93.75% في موضوع نزاهة الانتخابات كحد أقصى، أما نسبة الاتجاه المحايد تجاه القضايا المطروحة فبلغت 08.64 %، وهي نسبة ضعيفة مقارنة بالاتجاه السلبي، في حين بلغت نسبة الاتجاه الايجابي في الرسوم الكاريكاتيرية التي نشرتها الخبر 01.24%.

وقد عرض أيوب هذه الاتجاهات من خلال تقديمه المواطن الجزائري في صورة بائسة ، لباسه بالي ومرقع ، أما أماكن العيش فكانت إما بيت غير لائق جدارن مشققة أو " زبالة" ، تحت القنطرة ،الرصيف ،الأمل في الحرقة....

أما فيما يخص الفساد فقد جسده من خلال شخصيات بطونها منتفخة وملامح الوجه مصاصي الدماء، ومن خلال عبارات "فلاحي القولف ونادي الصنوبر...."،أما عن التغيير المأمول من الانتخابات فقد جسده من خلال تخوف المواطن الذي يعيش –كما صوره أيوب- حياة صعبة - من أن يزداد الوضع سوء عما عليه سابقا .

وعن نزاهة الانتخابات علق أيوب قائلا"أن الشعب رايح ينتخب بنسبة تفوق 100% "، أما البرامج الانتخابية فقد اعتبرها أيوب وعودا كاذبة حيث رسم أحد المترشحين وهو ينفخ فقاعات الصابون، و تجدر الإشارة هنا أن أيوب نجح في تجسيد اتجاهاته من خلال الرسوم التي قدمها.

3 – فئة الشخصيات جدول رقم 03

الشخصيات	التكرار	النسبة %
الرئيس م-ح	32	33.82
مرشح	02	02.94
وزير	01	01.47
مسؤول	04	05.88
مواطن	27	39.71
أخرى	11	16.17
المجموع	68	100

يوضح الجدول رقم03 الشخصيات التي تناولها أيوب في رسوماته الكاريكاتيرية، حيث استحوذ المواطن على نسبة كبيرة قاربت 40%، ثم المرشح الحر بنسبة تجاوزت 33% ثم تلتها بنسب ضعيفة رسوم المسؤولين والمرشحين، وقد جسد هذه الشخصيات بسخرية وفكاهة فيها الكثير من الحرية غير المسبوقة ، حيث يدل اقتران صورة المواطن وصورة المرشح الحر مع الاتجاهات السلبية لغالبية الرسوم على نقد واضح للسلطة القائمة وتحميلها سوداوية الواقع الذي صوره أيوب.

4- فئة التعليق

جدول رقم 04

شكل العرض	التكرار	النسبة%
بتعليق	40	95.24
بدون تعليق	02	04.76
المجموع	42	100

يوضح الجدول رقم 04 شكل عرض الكاريكاتير، حيث جاءت الرسوم المصحوبة بتعليق بنسبة 95.24% ، في حين كانت نسبة الرسوم بدون تعليق 04.76%.

إن استخدام الرسوم الكاريكاتيرية للتعليق المرافق يسهل إيصال الرسالة التي يحملها الرسم الكاريكاتيري للقارئ بيسر ودون تعدد للمعاني، و لو أن الرسم الكاريكاتيري يكون أكثر عمقا وقوة وتفاعلا لما يكون دون تعليق، وهذا ما يجعلنا نقول أن الرسام أيوب أراد أن يوصل معاني محددة وأفكار بعينها للقارئ والتي حملت في غالبيتها دلالات سلبية.

وقد عبر أيوب عن رأيه وتعليقاته بلغة شعبية ودارجة التي تكون أقرب للقارئ منها من الفصحى ويكون تأثيرها ووقعها في نفسيته اكبر.

5- فئة اللون

جدول رقم 05

شكل العرض	التكرار	النسبة%
بألوان	40	100
بدون ألوان	00	00
المجموع	40	100

يوضح الجدول رقم 05 استخدام الكاريكاتير في جريدة الخبر للألوان، فقد وردت كل الرسوم الكاريكاتيرية ملونة وبحجم واضح حيث ساهمت الألوان التي كانت زاهية في زيادة قوة الرسوم ، فاستخدام الخصائص الطبوغرافية في الكاريكاتير يعطي قيمة جمالية وقوة للكاريكاتير ويزيد من تأثيره، حيث تحدث

الألوان تأثيرا على أعصاب العين ومن ثم تحدث أثرا نفسيا لدى المشاهد ،ذلك أن للألوان معان راسبة في العقل الباطن نتيجة لخبرات بعضها موروث في الجنس البشري، وأخرى مررنا بها في الحياة.

وصفوة القول أن علاقة الصحافة بالكاريكاتير السياسي هي علاقة زواج كاثوليكي لا انفصال فيه ، وأن الكاريكاتير يشكل ركنا هاما من حرية التعبير ، وهذا لا يعني أن يكون الرسام الكاريكاتيري فوق الجميع ، لا رقيب عليه ولا محاسب له ، إذ أنه لابد من تفعيل مدونة أخلاقيات المهنة التي تحمي الخصوصية و السمعة والحياة الخاصة من أي تجاوز ،حيث أن الكاريكاتير السياسي قد يشكل دعاية سياسية متكاملة وحملة إعلامية شعواء قد تحطم المستقبل السياسي للبعض وتحط من معنوياتهم.